إبراهيم بن عيسى - المؤرخ والنسّابة

(١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ)

الدكتور محمد ثنيان الثنيان *

إذا كان عثمان بن بشر يعد العمدة بين المؤرخين الذين كتبوا عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ، والذي غطّت شهرته حتى على من سبقه مثل حسين بن غنام ، الذي يعد مصدراً أساساً فيما كتب عن الدولة السعودية الأولى . إذا كان هذا ؛ فإن المؤرخ والنسّـابة الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، يعد الرائد في مجموعتـه ؛ ولذا عدّ المؤرخ الثاني لنجد ، بعد ابن بشر . ولعل هذا الوصف لم يأت من فراغ ؛ فبالإضافة إلى كتابيه «عقد الدرر» و«تاريخ بعض الحوادث» المنشورين ، روي الكثير عن تراثه العلمي الذي لازال مفقوداً . وكتاب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام «علماء نجد خلال ستة قرون» وفي طبعته الأخيرة «... ثمانية قرون» يرصد ويعدد الكثير من هذه المؤلفات الضائعة ، كما يشير إلى كثير من وريقات ابن عيسى رحمه الله . ويظهر مما ذكره البسام في كتابه أن جلّ هذه المؤلفات الضائعة كتبت في التاريخ والتراجم والأنساب .

* بكالوريوس من قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة الملك سعود عام ١٩٧١م .
- دكتوراه من جامعة إكستر - إنجلترا عام ١٩٧٧م .
- يعمل الآن أستاذاً مشاركاً في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

وإني من خلال هذا البحث أدعو العلماء والمؤرخين ، وعلى رأسهم الشيخ الفاضل عبدالله آل بسام ، لبذل الجهود والمساعدة ، فيما يعرفون أو يعلمون ، لجمع هذا التراث الثمين ؛ تمهيداً لنشره . فتراث ابن عيسى العلمي حريّ بأن لا يضيع .

ولعل هذا البحث يسهم في إلقاء بعض الضوء على هذا المؤرخ وكتاباته.

ابن عيسى العالم وحياته :

هو الشيخ المؤرخ والنسابة إبراهيم بن صالح بن عيسى .. ويقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، نقلاً من مذكرات دونها ابن عيسى نفسه ، بأن هذا العالم ينتسب إلى آل عبدالرحمن - «عشيرة من آل عيسى الذين هم فخذ من بني عطيّة وهم بطن كبير من بني زيد القبيلة القضاعية القحطانية» [١] .

أما من قبل الأم ، فيرجع الشيخ ابن عيسى في نسبه إلى تلك الأسرة الشهيرة والعريقة ؛ آل فريح [٢] . ولد في مدينة أشيقر من مقاطعة الوشم ، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر شعبان عام ١٢٧٠هـ [٣] . في بلدته هذه، التي كانت تعد مركزاً من مراكز العلم والعلماء في نجد إبّان القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين [٤] ، تعلم المبادئ الأولى للقراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، عن ظهر قلب [٥] .

---

(١) عبدالله بن عبدالرحمن البسام . علماء نجد خلال ستة قرون ، ثلاثة أجزاء .- مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٨هـ ، جـ١ ، ص١١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١١٧ - ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٤) عبدالله الصالح العثيمين . الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره .- الرياض : دار العلوم ، (د . ت) ، ص٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

وتروي المصادر التاريخية بأن الشيخ إبراهيم بن عيسى قد أكبّ على طلب العلم ، في مسقط رأسه ، بكل مثابرة وجد ؛ إلا أنه كبقية علماء زمانه النابهين لم يكتف بما حصل عليه من العلم ، في بلدته ، فغادرها إلى بلدان مجاورة ، وأخرى بعيدة [1] . كانت رحلته الأولى ، على ما بدا ، إلى المجمعة ، قاعدة مقاطعة سدير ؛ حيث أخذ عن شيخها وقاضيها أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، والذي ، كما يروي الشيخ البسام «أجازه في رواية الكتب الأمهات الست وغيرها من كتب العلم» [2] .

أما الرحلة الثانية ، فقد أبعد فيها قليلاً ؛ كانت إلى مدينة عنيزة في القصيم ؛ حيث أخذ العلم عن بعض علمائها [3] . هكذا رتّب الشيخ ابن بسام رحلات ابن عيسى ، لكن لعل رحلته إلى مدينة شقراء وهي الأقرب إليه ، كانت قبل رحلته إلى عنيزة ؛ حيث يروي ابن بسام نفسه ، كما سيأتي ، أنه أخذ عن شيخ وقاضي مدينة شقراء [4] . ولعل رحلته هذه إلى عنيزة كانت الرحلة الأولى إلى هذه المدينة التي ألفها وألفه أهلها ، وحنّ إليها وتردد مراراً، وعاش فيها حقباً من الدهر ، ووافته المنية فيها كما سيذكر لاحقاً .

أما رحلته إلى مدينة شقراء ، قاعدة الوشم فلعلها كانت الثانية بين رحلاته ، أو حتى الأولى عليها جميعاً ، وذلك لأهميتها وقربها إليه ..

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ، محمد بن عثمان القاضي . روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، جزءان -- ط٢ -- القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، جـ١ ، ص٤٤ .

(٢) البسام . علماء نجد ، جـ١ ، ص١١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، ص١١٩ .

ويذكر ابن بسام أنه درس في هذه المدينة على يد قاضيها الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى [١] .

أما رحلات ابن عيسى خارج منطقة نجد ، فتزودنا المصادر ببعض المعلومات المقتضبة عنها . ولعل رحلته الأولى كانت إلى إقليم الأحساء ؛ حيث قرأ على قاضي بلد الأحساء الشيخ عيسى بن عكّاس . ويقول الشيخ حمد الجاسر بأنه لازمه مدة عشر سنين [٢] . أما البلد الثاني ، الذي رحل إليه ابن عيسى لطلب العلم ، فقد كان العراق ، وخصوصاً الزبير والبصرة . ويقول الشيخ البسام : «ثم رحل إلى الزبير وكان آهلاً بعلماء الحنابلة فأخذ عنهم ثم تجوّل في بلدان العراق» [٣] . أما أهم المشائخ الذين أخذ عنهم في هذا البلد ، فقد كان الشيخ صالح بن حمد المبيض ، قاضي الزبير [٤] . ويقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي بأن ابن عيسى قد ناسبته الزبير «فطاب له السكنى فيه»[٥] .

ويظهر أن رحلات العلم هذه ، قد شدّت ابن عيسى وجعلته يوغل في البعد أكثر حيث شد الرّحال إلى الهند فقرأ فيها على علماء الحديث ، وأجيز ، كما يقول محمد العثمان القاضي ، بسند متصل . وأهم علماء الهند الذين أخذ عنهم كان الشيخ السيد صديق حسن خان الذي لازمه سنتين [٦] .

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) حمد الجاسر . «مؤرخو نجد من أهلها» ، العرب -- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الجزء العاشر ، السنة الخامسة ، ربيع الآخر ، ١٣٩١هـ/يونيو ١٩٧١م ، ص ٨٨٦ ..

(٣) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص١١٨ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج١٠ ، ص ٨٨٦؛ القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٤ .

(٥) المصدر الأخير ، الصفحة نفسها .

(٦) القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٤ .

أما الحجاز فقد كان ، ولا شك ، له نصيب من رحلات هذا العالم الجليل؛ حيث يذكر القاضي بأنه رحل إلى مكة المكرمة ، حيث أقام بضع سنوات ، وقرأ على أعيان علماء المسجد الحرام ؛ ومن أبرزمشائخه هناك ابن عمه أحمد بن عيسى [1] . وقد أدى فريضة الحج ؛ حيث يقول : «وفي سنة ١٣١١هـ حججت حجة الإسلام، وقضيت فيها مناسك الحج في صحة وعافية فلله الحمد . .»[2].

وإذا كان غرض الكثير من النجديين ، من الرحلات والأسفار ، في تلك الأيام التجارة ، فإن ابن عيسى ، دأبه دأب بقية علماء نجد وغيرهم ؛ كان غرضه النهل من معين العلم أينما كان . قال البسام : «وليس له غرض من هذه الرحلات إلا العلم ومجالسة العلماء والبحث معهم واقتناص الأخبار - التاريخية والفوائد الأدبية - حتى أدرك في العلوم الشرعية والعلوم العربية والتاريخية والأدبية إدراكاً تاماً لاسيما في الأدب والتاريخ القديم والحديث فقد عدّ من مراجعه والمعتمد عليه فيه» [3] .

بعد هذه الرحلات العلمية ، وبعد أن أدرك إدراكاً تماماً ، كما قال الشيخ البسام ، وعدّ واحداً من مراجع العلم والأدب ، أقام في نجد ؛ حيث تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم . وتورد كتب التراجم قائمة لهؤلاء الطلاب ، والذي يتضح من خلالها ، أن معظمهم أصبح من مشاهير العلماء في زمانه . ويبدو أن حلقات التدريس لهذا العالم الكبير قد اقتصرت على مدينتين في نجد

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسّام . علماء نجد خلال ثمانية قرون ، الطبعة الثانية ، ستة أجزاء .- الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٩هـ ، ج١ ص ٣٢٠ .

(٣) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١١٨ .

هما مسقط رأسه أشيقر ، وعنيزة في القصيم . ويلقي البسام بعض الضوء على حلقات التدريس هذه قائلاً : «كان لا يملّ التدريس والبحث وكان يدرس طلاب العلم في بلدة أشيقر فكان في أول النهار يدرس لهم في جامع البلد وفي آخره في مسجدها الجنوبي وكذلك درّس في بلدة عنيزة وفي هاتين البلدتين أدرك على يديه علماء ...» [١] .

ويورد القاضي وصفاً مختصراً لحلقات العلم هذه ؛ حيث يقول : «ثم رحل ابن عيسى إلى عنيزة فاستوطنها وحل ضيفاً على الجد صالح بن عثمان القاضي ولازمه في حلقاته كلها ، وإذا انتهت قراءة الطلبة انتقل ببعض الطلبة إلى شمال الجامع يقرأون عليه في العربية والفرائض والحديث واستمر الطلبة يقرأون عليه وكان حسن التعليم كما درّس في الوشم» [٢] .

ضمت حلقات ابن عيسى تلاميذ نجباء غدوا فيما بعد علماء مبرزين . ومن أشهر هؤلاء الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر الذي تولى رئاسة محكمة التمييز في المنطقة الغربية من المملكة ، الذي كان لديه ميول نحو التاريخ؛ حيث كان بين الشيخ ابن عيسى وتلميذه هذا ، كما يروي البسام مكاتبات ومراسلات كثيرة كان أغلبها منصباً على تراجم علماء نجد، وبالذات أشيقر[٣].

ومن تلاميذه أيضاً الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم الذي كان رئيساً لمحاكم منطقة المدينة المنورة ، والشيخ محمد بن علي البيز رئيس محاكم منطقة الطائف يومئذ [٤] .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .
(٢) القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٤ .
(٣) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

الشيخ سليمان بن صالح بن حمد آل بسام ، كان واحداً من تلاميذ المؤرخ الشيخ ابن عيسى ؛ بل كان ، كما يقول البسام : «أخص أصحابه به وأحبهم إليه ، وله منه إجازة مطولة» [1] .

لكن كان أهم من تتلمذ على هذا الشيخ الورع هو عالم عنيزة الشهير ؛ بل عالم نجد والجزيرة العربية قاطبة ، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي . وكذلك شيخ عنيزة وقاضيها عثمان بن صالح القاضي كان واحداً من تلاميذه[2] . وهناك علماء آخرون تتلمذوا على الشيخ إبراهيم بن عيسى ، لا يتسع المجال لذكرهم [3] .

ولم تقتصر دروس ابن عيسى على تلامذة نجد فحسب ؛ بل شملت آخرين حيث تذكر كتب التراجم أن عالم الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان الكويتي قد أخذ عنه ، وكان له منه إجازتان [4] .

الشيخ إبراهيم بن عيسى ، كان حقاً يمثل تلك الصورة المثالية لعلماء الشرع الحنيف ، وما يفترض أن يتحلوا به ، من أخلاق فاضلة وحكمة وتواضع، فبجانب علمه الغزير الذي لم يقتصر على العلوم الشرعية فقط ، فقد جلل هذا العلم بخلق رفيع وتواضع لتلاميذه ومريديه ولكل من عرفه . ذكر البسام طرفاً من هذه السجايا والخصال الحميدة التي كان يتحلى بها ابن عيسى قائلاً : «وكان مع هذا كريم النفس جم التواضع حسن العشرة لطيف الروح أنيس

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤ - ٤٥ ؛ البسام ، علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٢ .

الجليس ؛ لهذه الأخلاق العالية ولما يحفظه ويحسن إيراده من النوادر الأدبية والتحف التاريخية صارت له محبة في القلوب وحسن ذكر على الألسن وثقة في النفوس ...» [١] .

ويقول القاضي عن شخصية ابن عيسى بأنه رحمه الله كان ذا روح خفيفة، وصاحب نكتة ، وأنه كان له مع والده حكايات ونوادر ، أثبتها والده الشيخ عثمان الصالح بمسَوَّدات لديه [٢] .

ولا أدل على شخصية ابن عيسى المرحة والخفيفة الظل من كون البسام قد أفرد عنواناً بهذا الشأن «نوادره وملحه» قال تحته : يروي تلميذه وصديقه الشيخ سليمان بن صالح آل بسام الكثير من هذه الملح والطرائف ولكن يضيق بنا المجال عن إيراد شيئ منها وعسى الله أن يسهل لي أن أجمع ما عندي له من القصائد والفوائد وأضيف إليها هذه التحف والنوادر ، في جزء خاص بها فإنها من أدبنا الحي الجيد» [٣] .

عاش الشيخ ابن عيسى عيشة الكفاف التي كانت هي غالب حياة الناس، ومع قلة ذات اليد فقد كان عزيز النفس عفيفها مترفعاً عما بأيدي الناس . وكان صاحب سيرة عطرة ؛ كان محباً لفعل الخير ، والسعي بإصلاح ذات البين [٤] .

أما هيئة الشيخ إبراهيم ابن عيسى وأوصافه ، فيصفه القاضي باقتضاب قائلاً : «وأما أوصافه فكان مربوعاً نحيف الجسم أسمر اللون» [٥] .

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
(٢) القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٥ - ٤٦ .
(٣) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٤ .
(٤) القاضي . روضة الناظرين ج١ ، ص ٤٦ .
(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

كان خطاطاً ، جميل الخط ؛ ولذا امتهن الكتابة والنسخ [1] ، وكان رحمه الله يتعيش قانعاً ، من هذا الدخل البسيط .

وقد تمسك بمهنته هذه ، على بساطتها ، عازفاً عما سواها ، وإن علت قدراً ؛ حيث تذكر المصادر التاريخية أن أهل عنيزة عرضوا عليه منصب القضاء مرتين فاعتذر عنه . المرة الأولى كانت عندما استولى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على القصيم عام ١٣٠٨هـ ؛ حيث كتب أعيان ووجهاء عنيزة كتاباً إلى هذا الأمير يطلبون فيه تعيين الشيخ ابن عيسى قاضياً ومدرساً وخطيباً في مدينتهم ، فكتب إليه ابن رشيد بهذا ، لكنه امتنع . ويقول البسام في سبب هذه الامتناع : «ولكنه امتنع ورفض ذلك حباً في السلامة وابتعاداً عن الشهرة» [2] لكنه كما يضيف البسام ، ظل في التدريس والتعليم [3] .

أما المرة الثانية التي عرض عليه فيها منصب القضاء ، فقد كانت في عام ١٣١٨هـ عندما عزل قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن عائض ، حيث عرض عليه أهلها هذا المنصب ، فأبى مرة أخرى [4] ، ربما للأسباب نفسها .

ظل ابن عيسى يتردد بين مدينتيه اللتين أحبهما ؛ عنيزة وأشيقر ، عاكفاً على عمله الرفيع فيهما ، التدريس والكتابة والنسخ . وفي آخر حياته بعد أن أرهقته الشيخوخة انتقل إلى عنيزة واستقر بها ، يعلم ويؤلف ، حتى اخترمته

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

المنية ، حيث توفي فيها ضحى السبت الثامن من شوال عام ١٣٤٣هـ [١] . وفي رواية أخرى ، في الرابع والعشرين من شوال [٢] .

وكانت رحلته الأخيرة إلى مدينة عنيزة في الحادي عشر من شهر صفر ١٣٤٢هـ [٣] ويقول الشيخ حمد الجاسر بهذا الشأن : «لبث الشيخ ابن عيسى في بلدته ينشر العلم ويجمع مايستطيع جمعه من أخبار بلاده حتى أرهقته الشيخوخة في عام ١٣٤٢هـ فانتقل إلى مدينة عنيزة تلك المدينة التي اعتاد أن يجد لدى وجهائها كثيراً من الراحة ، مما يخفف عنه تعب الحياة ...»[٤] .

المؤرخ والنسّابة :

عند استعراض مشائخ ابن عيسى ، وتلامذته يتبادر إلى الذهن أن علمه يقتصر على العلوم الشرعية فقط ؛ ولكن الحقيقة غير ذلك . يقول الجاسر نقلاً عن أحد التلاميذ ؛ بل عن أهم تلاميذ ابن عيسى ، وهو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر : «كان في بداية طلبه العلم يتجوّل في البلدان ، وإذا وجد ما يعجبه من الفوائد نقله بخط يده ، وكان لا ينفك في غالب أوقاته من المطالعة ، حتى إذا خرج من بيته أخذ معه بعض المجاميع ...» [٥] .

ويعدد أحد تلامذته القريبين إليه ، أيضاً العلوم التي برع فيها شيخه

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

(٢) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ . مشاهير علماء نجد وغيرهم ، الطبعة الأولى ٠- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م ، ص ١٩٧؛ ويقول الشيخ حمد الجاسر : توفي في ٢٣ شوال . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٦ .

(٣) آل الشيخ . مشاهير علماء نجد ، ص ١٩٧ .

(٤) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٦ .

(٥) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٦ .

قائلاً : «والشيخ الفاضل إبراهيم بن صالح بن عيسى كان عالماً فاضلاً . له في كل علم باع طويل ، سواء كانت شرعية أو لغوية أو تاريخية أو ما يتصل بالأنساب أو غير ذلك من المعارف . فقد تجوّل في كثير من البلاد للأخذ من علمائها »[1] .

من هذه المعارف التي أشار إليها تلميذ ابن عيسى ، قرض الشعر ، فمن ينظر في صفحات سيرته ، أو في تراجم بعض العلماء الآخرين يصادف الكثير من شعر ابن عيسى إما رثاءً أو ثناءً أو رداً . ويقول البسام واصفاً شعر ابن عيسى ومدى جودته : «أما شعره فقد اطلعت على كثير من قصائده وفيها قوة وجودة فليست من نوع شعر العلماء الذي ليس فيه الحلاوة الشعرية وإنما هو من شعر أهل الأدب في جزالته وقوته وسلامته في مناسبات إما رثاء عالم أو مدح كبير أو عتب صديق ولو جمعت لجاءت ديواناً متوسطاً ... »[2] .

إذا كان ابن عيسى قد أبدع في الشعر ونظمه كأهله ، فقد كتب التاريخ ووثقه بصدق المؤرخ العدل وموضوعيته ، وبحث في الأنساب وفصّل فيها ، حتى غدا علماً من أعلامها . ويقول البسام عن فقه ابن عيسى وسعة أفقه في هذين الحقلين : «لا أعرف أحداً من علماء نجد خدم تاريخ نجد مثله وتعب في تقييد أخباره وتسجيل حوادثه وضبط أنسابه حتى عدّ - بلا مراء - مرجعاً فيه»[3] .

نعم كان مرجعاً لعلماء نجد يرجعون إليه في التاريخ والأنساب ،

(١) آل بسّام . علماء نجد خلال ثمانية قرون ، (ط٢) ج١ ، ص ٣٢٢.

(٢) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

والتراجم . تثبت كتب التراجم والسيّر أن كثيراً من علماء نجد الكبار كتبوا إليه مستفسرين ، مستعلمين ، عن هذه العلوم ، قال البسام : «وعلماء نجد الكبار يكتبون إليه ويستفيدون منه في ذلك وقد رأيت كتباً من الشيخ عبدالله ابن عبداللطيف والشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ محمد بن عوجان والشيخ عبدالله بن خلف والشيخ عبدالله بن جاسر والشيخ محمد بن علي البيز والشيخ عبدالرحمن الناصر آل سعدي ، وغيرهم يسألونه عن الأنساب ، والتراجم والأخبار وأجد بعض أجوبته لهم مسودة على كتبهم إليه» [١] .

رجع إليه الكثير من هؤلاء العلماء فيما يتعلق بالأنساب ، ليس فقط من أجل العلم والتوثيق التاريخي لها ، ولكن لمواجهتهم بعض القضايا والمسائل الشرعية ، التي يتطلب حلها والبت فيها الرجوع إلى بعض الخلفيات كنسب ونحوه . ويورد البسام واحدة من هذه المسائل ؛ حيث يقول : «فهذا الشيخ العلامة إبراهيم بن عبداللطيف يبعث إليه بهذه الرسالة فيقول فيها «من إبراهيم ابن عبداللطيف إلى الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى - بعد الديباجة - أخي من طرف سبل [٢] آل مبدد جاءنا خط [٣] من الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن حفظه الله ذكر فيه أننا نستعرض أوراقهم وإن كان آل يحيى أقرب من ينتسب لهم اليوم وعرض علينا ابن يحيى ورقتين فالمأمول من إحسانك أخي إن كان عندك معرفة في نسبهم فوضحه لنا» [٤] .

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) سبل : أوقاف .

(٣) خط : خطاب أو رسالة .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

هذه الرسالة تبرهن على أن ابن عيسى كان حجة في معرفة أنساب أهل زمانه ، وبالذات أهل نجد ، وأن علماء كباراً كهذا العالم ، كانوا يستشيرونه ويعتمدون عليه بهذا الشأن .

والشيخ البسام ، نفسه ، قد عوّل عليه كثيراً في هذا المجال[1] . ويظهر أن للشيخ إبراهيم بن عيسى بعض المؤلفات في الأنساب ، ولكنها ضاعت فيما ضاع من كتبه ، أو لازالت في عداد المفقود . والبسام يورد عناوين بعض من هذه المؤلفات [2] .

لكن من بين كتابات ابن عيسى المتوافرة في الأنساب ، تلك الملاحق والنبذ الملحقة بكتابه «تاريخ بعض الحوادث» وعلى الأخص الملحق الأول منها ، والذي كرسه في أنساب الوهبة . قال ابن عيسى في مقدمته لهذا الملحق : «أقول وأنا الفقير إلى الله وأنا كاتب هذه الأحرف إبراهيم بن صالح بن إبراهيم ابن عيسى أنه قد سألني بعض الإخوان المحبين أن أكتب معرفتي في تعريف أفخاذ الوهبة والتعريف ببطونهم ، فأجبته إلى مطلوبه ، وأسعفته بمرغوبه . فأقول وبالله التوفيق : إن معرفتي في ذلك أن جميع الوهبة يجتمعون في (محمد بن عَلَوِي بن وهيب) ومحمد بن علوي هو الجد الجامع لبطونهم» [3] .

ثم استمر بعد ذلك في سرد الأسر التي ترجع إلى الوهبة ، أسرة ، أسرة موضحاً ومفصلاً الكثير من الفوائد في أنسابها . وهي مثل آل بسام ، وآل عساكر ، وآل راجح ، وآل مشرف ، وآل شبل وغيرهم [4] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ، ص ٢١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ٢١٩ - ٢٢٨ .

ومما يدل على طول باع ابن عيسى في هذا العلم الشريف ، وتبحّره فيه ، أنه نادراً ما يذكر اسم علم من الأعلام حاكماً أو أميراً أو قاضياً أو عالماً أو حتى إذا كان المذكور فرداً عادياً إلا ويردفه بنسبه ، وأحياناً يلحقه ببلدته أو قريته .

فعلى سبيل المثال ، في حوادث سنة ١٢٢٩هـ بعد أن أورد تاريخ وفاة الإمام الكبير سعود بن عبدالعزيز ، محدداً إياها بالليلة واليوم ، أردفه بتاريخ وفاة أحد أمرائه وقادته قائلاً : «وفي هذه السنة توفي إبراهيم بن عفيصان في عنيزة ، وكان قد جعله سعود بن عبدالعزيز أميراً فيها .. وابن عفيصان المذكور من آل عفيصان المعروفين في الخرج من عايذ» [١] .

ويقول عن وفاة قاض ضمن حوادث سنة ١٢٠٢هـ : «وفيها توفي الشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان الوهيبي التميمي قاضي بلد حريملاء ، رحمه الله تعالى» [٢] .

والشيخ إبراهيم بن عيسى لا يكتفي بتأريخ وفيات المشهورين من الناس داخل نجد فقط ؛ بل يتتبعهم حتى خارجها سواء أكانوا أمراء أم علماء ، ذاكراً أنسابهم وبلدانهم في نجد . يقول مثلاً : «وفي سنة ١٢٤٣هـ قتل ناصر بن راشد من أهل حريملاء من آل أبو ربّاع من عنزة رئيس بلد الزبير ، قتله محمد ابن فوزان الصميط ، والصماط من أهل حرمة من سبيع» [٣] .

وهذا عالم نجدي أديب ، توفي خارج نجد ، لكن لم يفت ابن عيسى أن يدون تاريخ وفاته ويبين شيئاً من نسبه ، وبلده الأصلي : «وفي سنة ١٢٤٤هـ

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

توفي الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر من المعامرة أهل العيينة من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم . كانت وفاته في البحرين ، رحمه الله تعالى ، وكان أديباً لبيباً ورعاً ، وله أشعار رايقة » [1] .

وكما يتابع ابن عيسى الأمراء والعلماء النجديين ، خارج نجد ، يتابع أيضاً مشهوري تجارهم وهم كثر . يقول وهو يدون حوادث سنة ١٢٢٤هـ : «وفي هذه السنة توفي التاجر المشهور أحمد بن محمد بن رزق في بلد قردلان[2] بعدما استوطنها ، قيل : إنه خلف من الأموال ما قيمته ألف ألف وماية ألف ريال ، وابن رزق هذا أصله من آل رزق أهل حرمة ، وانتقلوا منها ، وسكنوا في بلد الغاط ، وهم من بني خالد » [3] .

ابن عيسى لا يقف قلمه أو يقتصر فقط على تدوين حوادث وجهاء القوم، بل يتعداه إلى ذكر أولئك المغمورين من الناس . قال في حوادث سنة ١٢١٤هـ: «وفي هذه السنة توفي فارس بن سليمان بن بسام الوهيبي التميمي ساكن بلد التويم» [4] .

هذه أمثلة لعناية الشيخ إبراهيم بن عيسى بأنساب من يدون لهم من أعلام ونحوهم .

أما المادة التاريخية التي عني بها فهي لا تختلف عن بقية ما ذكره المؤرخون النجديون الآخرون كابن بشر ، والفاخري وابن بسام وغيرهم ؛ حيث

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢) قردلان قرية في العراق يفصل بينها وبين العشار شط العرب ، ويصل بينهما جسر ، وابن رزق تاجر مشهور ألف عنه عثمان بن سند كتاب « سبائك العسجد » .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

اشتملت على الأمور السياسية والعسكرية ، والاقتصادية والاجتماعية والعلمية . فقد كتب عن الحكام والأمراء ، والقادة العسكريين والقضاة والعلماء بصفة عامة ، وأرخ لسنوات القحط والجدب ، وسنوات الأمطار والخصب ، وبين ما لهذه وتلك من آثار على الناس وحياتهم .

مؤلفاته :

وقبل أن نلج في مؤلفات ابن عيسى في التاريخ ، وهو بيت القصيد في هذا البحث ، يجدر استعراض مؤلفاته بشكل عام الموجود منها والمفقود ؛ حيث تروي بعض المصادر التاريخية أنه نسخ بخطه الجميل عشرين كتاباً أو مجموعاً، كما جاء في هذه المصادر [1] ، لكن الذي يبدو أنه نسخ وألف أكثر من هذا بكثير . وأحسن مصدر فصّل في هذه المؤلفات وعددها هو كتاب «علماء نجد» لمؤلفه عبدالله البسام .

هذه المؤلفات ، كما عددها البسام هي :

١ - كتاب عقد الدرر ، وهو كتاب متداول ومعروف .

٢ - كتاب في التاريخ أيضاً ؛ تاريخ نجد يبدأ من عام ١٣٠٣هـ إلى ١٣٣٩هـ.
هذا التاريخ ، كما يقول البسام يعد مكملاً لكتاب عقد الدرر وكما يروى فإن هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً بخط المؤلف .

- كتاب ابن عيسى الشهير تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد .. وهو غني عن التعريف .
- نبذة عن بلاد العرب ، ويظهر ، كما يقول البسّام أنها ملخصة من معجم البلدان وفيها زيادات عن المسميات الحديثة .

---

(١) آل الشيخ . مشاهير علماء نجد ، ص ١٩٦ .

- نبذة عن تاريخ مكة وحكامها ، وهي ملخصة من تاريخ أحمد زيني دحلان خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، كما صرح بذلك ابن عيسى نفسه [1] .
- جزء متوسط في أنساب العرب القحطانيين والعدنانيين .

ثم يتطرق البسام بعد ذلك لذكر بعض المؤلفات ، التي للأسف ، لا تزال في عداد المفقود ؛ حيث يقول : «مجاميع كثيرة تقع بأحجام صغيرة يقيد فيها ما يراه أو يسمعه أو يقرأه من الفوائد في التاريخ والأنساب والآداب والعلوم وأغلب نقله في النسب والتاريخ وهذه المجاميع مفرقة عند الناس لو جمعت ولخصت ورتبت لحصل منها علم غزير في تاريخ وأنساب أهل نجد لكنها مفرقة ومضنون بها عند أهلها» [2] .

ويورد الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في كتابه «مشاهير علماء نجد» مؤلفاً لابن عيسى يحوي ترجمة لخمسين عالماً من علماء نجد [3] .

كما أن الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ، وهو يتحدث في كتابه «المدخل المفصّل» عن : «النوع الثالث : كتب في تراجم الأصحاب على اختلاف طبقاتهم وبلدانهم» أورد مؤلفاً لابن عيسى قال عنه : «أوراق في تراجم بعض الحنابلة» في المكتبة السعودية بالرياض لإبراهيم بن صالح بن عيسى . ت سنة (١٣٤٣هـ)[4] .

(١) آل بسام . علماء نجد خلال ثمانية قرون ، (ط٢) ، ج١ ، ص ٣٢٧

(٢) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٣) آل الشيخ . مشاهير علماء نجد ، ص ١٩٦ .

(٤) بكر بن عبد الله أبو زيد . المدخل المفصّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب ، جزءان ، الطبعة الأولى .- الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ج١ ، ص ٤٤٠ .

كذلك ذكر الشيخ أبو زيد ، ضمن «كتب تختص بتراجم الأصحاب حسب بلدانهم ...» تاريخاً مخطوطاً للشيخ إبراهيم بن عيسى يقع في مجلدين (١) .

وأشار أيضاً إلى كتاب لابن عيسى مخطوط ، عنوانه «نبذة في تراجم بعض علماء الحنابلة» وقال بأنه موجود في مكتبة الموسوعة الفقهية بالكويت(٢) .

أما مؤلفات وكتابات ابن عيسى في الشعر ، فقد سبق وأن ألقي ضوء عليها فيما تقدم .

وبإلقاء نظرة سريعة على عناوين مؤلفاته يلاحظ أن ابن عيسى على الرغم من كونه أحد علماء الشرع الكبار ، والذي عرض عليه منصب القضاء ، فأباه ، إلا أن جل مؤلفاته وكتاباته منصبة على التاريخ والأنساب . ولهذا السبب فإن صفة ابن عيسى المؤرخ والنسابة طغت على كل شيئ آخر ، وأعطته هذه السمة. لا بل إن ضلوعه في علم الأنساب أضفى عليه تميزاً فريداً بين علماء الشرع والمؤرخين على حد سواء .

جلّ كتب ومؤلفات الشيخ إبراهيم بن عيسى ضاعت أو هي الآن ، في عداد المفقود ؛ ولذا فليس أمام الباحث ما يناقشه إلا القليل ؛ وهما كتابان . الأول «عقد الدرر» والثاني «تاريخ بعض الحوادث» ولحسن حظ ابن عيسى ، بل لحسن حظ تاريخ نجد أن سلم هذان الكتابان من الضياع .

أما عقد الدرر فلتأليفه قصة طريفة رواها البسام في سِفره الثمين

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .

«علماء نجد» رواها نقلاً عن لسان ابن عيسى نفسه ، وبكلماته البسيطة والصريحة ، التي لا تدل إلا على شخصية شفافة ، متناهية في الطيب والتعفف والقناعة ؛ وهي شخصيته التي عاش ومات عليها قال البسام : «واسمع إليه يحدثنا عن سبب تأليفه لتاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر وقد ذكر ذلك في رسالة له إلى بعض أصحابه فقال : (ويمكن أنه بلغكم أن الإمام المكرم عبدالعزيز - أعزه الله بطاعته - طلب منا كتابة ذيل على تاريخ ابن بشر والإمام - أطال الله عمره - ليس له معرفة بحالي وصار طريقه على أشيقر في العام الماضي وظهر له كبار الجماعة للسلام عليه وأنا ما ظهرت معهم لأن الإمام لا يعرفني وأنا مالي دخل في أمر الجماعة وإلا فالإمام وفقه الله لكل خير يعطي طلبة العلم عطاءً جزيلاً وأفعاله جميلة فدخل الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ البلد وقال: إن الإمام سأل عنك حيث ذكر أنك تؤرخ حوادث نجد ويلزمك مواجهته لتعرض عليه الذي عندك من التاريخ وظهرت أنا والشيخ محمد وعرضت على الإمام الوريقات التي كتبتها وقال بودي أنك تبسط ذلك - وتستقصي جميع الحوادث وإذا حصل منك ذلك فإن شاء الله أعطيك عطيّة جزيلة ولا أرفع النظر عنك فشرعت في تبييض ذلك). »[1] .

كلمات بريئة صادقة لا تنم إلا عن صفاء السيرة ، ونقاء السريرة . لم يخفّ للخروج إلى خارج البلد لاستقبال الإمام والسلام عليه ، لأنه كما قال ليس من «كبار الجماعة» فعل هذا على الرغم من أن لديه بضاعة ليست بمزجاة؛ حيث طلبه الإمام وطلب بضاعته وبعث إليه واحداً من كبار العلماء الأجلاء .

(١) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ص ١١٨ - ١١٩ .

وهذا لا شك برهان ساطع على شخصية ابن عيسى غير المتكالبة .

من ناحية أخرى يؤخذ من كلام ابن عيسى أنه ألف هذا الكتاب طبقاً لرغبة السلطان عبدالعزيز آل سعود . أيضاً يستفاد من كلامه هذا بأنه لم يبدأ بالكتابة بعد الطلب ، وإنما بيّض الحوادث التي كانت مدونة أصلاً لديه «فشرعت في تبييض ذلك» . وعلى كل فالمصادر التاريخية كلها تجمع على أن ابن عيسى قد ألف كتاب عقد الدرر تلبية لرغبة السلطان عبدالعزيز [١] .

ولعل هذا ، مما حدا بمؤرخ فاضل كعبدالفتاح أبو عليه أن يخلع شبه لقب على ابن عيسى حيث يقول : «إن المؤلف أشبه بمؤرخ رسمي لآل سعود بخاصة وأن الكتاب الأول «عقد الدرر» جاء تأليفه تلبية لرغبة الملك عبدالعزيز ..»[٢] ربما صحّ شيئ من هذا الوصف على مؤرخين آخرين ، لكن ليس ابن عيسى .

ابن عيسى وابن بشر :

ويقول الشيخ إبراهيم بن عيسى في مقدمته لهذا الكتاب بأنه جعله ذيلاً على كتاب ابن بشر ومتمماً له : «وجعلت ذلك ذيلاً على تاريخ الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر المسمى "عنوان المجد في تاريخ نجد" وكان عثمان قد أنهاه إلى آخر سنة سبع وستين ومائتين وألف وعاش بعد ذلك إلى سنة تسعين .

فابتدأت في ذلك من سنة ثمان وستين ومائتين وألف من حيث وقف قلم

(١) آل الشيخ . مشاهير علماء نجد ، ص ١٩٧ ؛ البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ص ١١٨ .

(٢) عبد الفتاح حسن أبو عليه . دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر (مصادر تاريخ البلاد السعودية) .- الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ٣٦١ .

الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر وسميته «عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر ، وأول القرن الرابع عشر » [١] .

ابن عيسى ، كما قال إذن ، بدأ تاريخه هذا بعد السنة التي توقف فيها قلم المؤرخ ابن بشر وهي ١٢٦٧هـ فبدأ في التدوين من ١٢٦٨هـ ، والحقيقة أن قلم ابن بشر لم يتوقف عند هذا العام ١٢٦٧هـ ، ولكن النسخة المتداولة ، حتى الآن التي اطلع عليها ابن عيسى تنتهي حوادثها بهذا العام . فابن بشر ، على ما ظهر قد استمر في تدوين الحوادث التاريخية وغطى فترة من الزمن بعد هذا العام ؛ حيث جاء على آخر النسخة الخطيّة لتاريخه "عنوان المجد" والمحفوظة في المتحف البريطاني ، غرفة الدراسات الشرقية ما يلي : «تم الكتاب بعون الملك الوهاب ويتلوه إن شاء الله تعالى دخول السنة الثامنة والستين وفيها غزو عبدالله بن فيصل لعمان وما جرى له فيه من الأكوان ، وما فتح الله على يديه من الفتوحات وما جبى منه من الخراجات وما أخذ من المخالفين من النكالات وبثّه سراياه في أقاصيه وأدانيه ومدة مقامه فيه كما ستقف عليه مفصلاً إن شاء الله تعالى في الكتاب بعد هذا » [٢] .

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى . عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر ؛ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .- الرياض : طبع بالمطابع الوطنية الحديثة على نفقة وزارة المعارف ، (د . ت) ، ص ٨ ؛ ويجدر التنويه بأن هناك اختلافاً طفيفاً في عنوان الكتاب ، ففي المقدمة ص ٨ وهي مقدمة ابن عيسى نفسه كتب : « ... في أواخر القرن الثالث عشر» وفي صفحة الغلاف « ... في آخر القرن الثالث عشر» . كما أن الشيخ حمد الجاسر كتبه كما في المقدمة . الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٦ .

(٢) Ibn Bishr, Uthman Ibn Abdullah, Kitab Unwan al-Majd Fi Tarikh Najd, The Britich Museum MS. is Or. 7718 .

والشيخ عبدالله البسام اطلع على نسخة خطية لكتاب «عنوان المجد» في الزبير تحمل العبارة نفسها تقريباً : «وقد اطلعت على نسختين خطيتين واحدة كاملة والأخرى مخرومة وفيها زيادات على الطبعات كلها ، فالكاملة في الزبير والناقصة بقلم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى وختم النسخة الكاملة بقوله : (كما ستقف عليه إن شاء الله مفصلاً في الجزء الثالث بعد هذا الكتاب .. قال مؤلفه وافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب في شعبان من شهور عام ١٢٧٠هـ) »[١] .

فهل كتب ابن بشر فعلاً جزءاً ثالثاً ، فطواه الزمن وضاع ؟

الشيخ حمد الجاسر يميل إلى أن هذه العبارة تعني بأن ابن بشر استمر في تدوين الحوادث ، ولربما كان هناك جزءٌ مفقود ؛ حيث يقول : «هذه الجملة تدل على أن ابن بشر لم يقف في كتابة التاريخ على سنة ١٢٦٧هـ ؛ بل سجّل ما بعدها من الحوادث وقد ذكر فضيلة الأستاذ عبدالله البسام أن أحد الثقات رأى في بلدة الزبير نسخة خطية يكاد يجزم أنها تزيد على هذه الموجودة (المطبوعة) كثيراً»[٢] .

ولعل الشيخ الجاسر يعني تلك النسخة التي أشار إليها البسام فيما تقدم، التي تنطبق عليها أوصاف نسخة المتحف البريطاني التي حققت وطبعت وقال عنها الشيخ المحقق أنها أكمل في معلوماتها من المطبوعة حينئذ ، وهذا هو تقريباً وصف البسام للنسخة التي اطلع عليها في الزبير . فيها زيادات وإضافات ؛ لكن ليس فيها تاريخ لأي حوادث بعد ١٢٦٧هـ أي : إن الفترة

(١) البسام . علماء نجد ، ج٣ ، ص ٧٠٢ .

(٢) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ص ٨٨٣ - ٨٨٤ .

الزمنية هي نفسها . ويظل السؤال هو السؤال أين الجزء الثالث ؟ أو بالأحرى هل هناك جزءٌ ثالثٌ قد ضاع ؟!

المؤرخ إبراهيم بن عيسى يلقي ضوءاً على هذا الإشكال ، لعله يوضحه . يقول الشيخ البسام مواصلاً : «قال الشيخ إبراهيم بن عيسى في آخر المخطوطة المخرومة : (قال مؤلفه عثمان بن عبدالله بن بشر - رحمه الله تعالى - تم الكتاب ويتلوه إن شاء الله دخول سنة ثمان وستين ومئتين وألف ولم أظفر بحوادث سنة ١٢٦٨هـ فلا أدري هل هو كتب ذلك أم لا ، وقد قيل : إن ابن بشر المذكور ابتدأ يكتب ذلك لكنه لم يبيضه ؛ بل ترك المُسَوَّدة وتوفي ولم يظهرها للناس» [١] .

نعم لعل ابن بشر بعد أن بدأ هذا العمل وسوّده أرهقته الشيخوخة فلم يتمكن من تبييض هذه النسخة وتصحيحها ولم يرغب في إشاعتها بين الناس كما هي ؛ لأنها - كما رأى عمل - غير مكتمل وفيه خلل فألغاها .

كتاب ابن عيسى، مع مضيّ حقبة زمنية طويلة توفي خلالها الكثير ممن قد يظن أن بحوزتهم مخطوطة كهذه - والأمل لا يفقد أبداً - لكن حتى الآن يظل كتاب ابن عيسى وكتاباته من الفترة التي توقف فيها ابن بشر ، هي المعوّل عليها أكثر من غيرها . ويبرز في هذا حتى ما كتبه المؤرخ محمد بن عمر الفاخري لاختصاره المخل من ناحية ، ولعدم تغطيته كامل الفترة من ناحية أخرى ؛ حيث دون الفاخري نفسه الحوادث حتى جمادى الأولى ١٢٧٧هـ ، وأكمل ابنه عبدالله الجزء المتبقي من كتابه حتى شهر ربيع الأول من عام ١٢٨٨هـ [٢] .

(١) البسام . علماء نجد ، ج٣ ، ص ٧٠٤ .

(٢) محمد بن عمر الفاخري . الأخبار النجدية ؛ تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر» (د . ت) ، ص ٢١ .

وكتاب ابن عيسى «عقد الدرر» كتاب متداول بين الناس ، ومعروف لا يحتاج إلى تعريف ، وهو بتحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ. وقد طبعته وزارة المعارف منذ سنين خلت ، ولعل هناك طبعات أخرى [١] .

أما الكتاب الآخر الذي ألفه الشيخ إبراهيم بن عيسى في التاريخ ، فهو «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ) [٢] .

وعنوان الكتاب يشفّ عن محتواه ، وقد نشره الشيخ حمد الجاسر منذ مدة طويلة ، وعلّق على بعض حوادثه ، لكنه بتواضع العلماء ، قال إن الكتاب يحتاج إلى تحقيق وتوثيق . والجاسر بنشره لهذا الكتاب أحسن صنعاً ولو لم يكن له إلا هاتان الحسنتان لكفى : الأولى : نشره بين الباحثين وغيرهم فاستفادوا منه .

الثانية : حفظه من الضياع ، فلو تركه مخطوطاً لربما كان مصيره مصير معظم تركة ابن عيسى العلمية التي ضاعت .

قال الشيخ حمد الجاسر في تقديمه لهذا الكتاب : «وعمد (ابن عيسى) إلى الحوادث التي سجلها ابن بشر بعنوان «سابقة» فرتبها ، وأوردها متسلسلة، وخصص لذكرها كتاباً .. - هو ما نكتب هذا مقدمة له - بعد أن أضاف إليها أشياء لم يذكرها ابن بشر ..» ويواصل الشيخ الجاسر مقدمته هذه عاتباً على

---

(١) ابن عيسى . عقد الدرر ، ص ٣ .

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ) .- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (د. ت) ، ص ٨ .

ابن عيسى إغفاله لذكر ابن بشر كمصدر من مصادره [١] . ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة عالم يعدّ حجة بمثل هذا الموضوع . لكن الحوادث التي سماها ابن بشر «سوابق» كما هو معروف تغطي حقبة تمتد من ٨٥٠ - ١١٥٦هـ [٢] . وكما هو معروف فإن المؤرخ ابن بشر ولد في عام ١٢١٠هـ [٣] وبذا يتضح أن هذه الحوادث التاريخية التي دونها تحت عنوان «سابقة» قد حصلت في فترات مبكرة تسبق فترة حياته بكثير ولم يعاصرها ولا يتأتى له أن يكون مصدراً فيها ، وإنما نقلها ، - مثله مثل غيره من المؤرخين المعاصرين له - ممن دونها وربما عاصرها من المؤرخين النجديين السابقين والرواد الأول كأحمد بن بسام ، وأحمد المنقور ، وعبدالله بن عضيب وابن يوسف وغيرهم ممن عني بتلك الحوادث ودونها . والمؤرخ ابن عيسى لم ينكر فضل هؤلاء ؛ بل ذكر أهمهم ضمن مصادره [٤] ، وذكر عنهم وعن كراريسهم التاريخية معلومات وإن كانت مقتضبة ، فإن ابن بشر لم يذكر شيئاً من ذلك .. وعندما أرخ ابن بشر وفاة أحد هؤلاء المؤرخين القدامى وهو أحمد المنقور ، تطرق إلى بعض مؤلفاته في علوم الشرع ولم يذكر تاريخه [٥] . فلو كان ابن عيسى قد نقل من ابن بشر «سوابقه» بعد أن رتبها ، كما قيل ، فمن أين له بمعلومات كراريس المؤرخين

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) عثمان بن عبد الله بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد .- الطبعة الرابعة ، جزءان ؛ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .- الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، (الجزء الأول : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، الجزء الثاني : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ج٢ ، ص ٢٩٣ - ٣٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٧ .

(٤) ابن عيسى . تاريخ بعض الحوادث ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥) ابن بشر . عنوان المجد ، ج٢ ، ص ٣٦٠ .

القدامى التي لم يذكرها ابن بشر نفسه ، وهو الأمر الذي يشير بوضوح إلى أن ابن عيسى قد اعتمد بشكل مباشر على كراريس هؤلاء الرواد ، هذا فيما يتعلق بالجزء الخاص من الحوادث التاريخية التي سماها ابن بشر «سوابق» و«سابقة» .

بالإضافة إلى هذا فإن الشيخ حمد الجاسر أشار ، كما تقدم إلى أن ابن عيسى عندما دون هذه الحوادث - سوابق ابن بشر - أضاف إليها إضافات لم يذكرها ابن بشر وهذا قول صحيح وهذه الإضافات هي مثل تواريخ بناء بعض البلدان وغير ذلك من الحوادث [١] التي استقاها من مصادره الأصيلة والقديمة، كما تقدم كراريس المؤرخين القدامى، وليس من ابن بشر لعدم وجودها أصلاً في تاريخه .

أما الحوادث التي تغطي الحقبة بعد هذه ، وهي تحديداً حقبة قيام الدولة السعودية الأولى ، فلها أيضاً مؤرخوها المعاصرون لها ، غير ابن بشر ، والذين أرخوا لها عن قرب ، وعلى رأس هؤلاء المؤرخ حسين بن غنام . ولا يفترض بمؤرخ ذي دراية واطلاع واسع بتاريخ نجد كابن عيسى أن يأخذ من ابن غنام عن طريق ابن بشر ؛ بل يتوقع أن يكون مطلعاً على تاريخ ابن غنام بمنأى عن ابن بشر وبشكل مباشر ، وهذا بالتأكيد لا يمنع اطلاعه على تاريخ ابن بشر ، واستفادته منه وهو أمر ثابت لا لبس فيه لكن ، كان له أيضاً بجانب هذا مصادره الأخرى كابن لعبون [٢] .

ابن عيسى في الواقع ، لم يتجاهل ابن بشر وتاريخه كلية ؛ بل ذكره وأشار إليه كما تقدم ، عندما قال بأن كتابه «عقد الدرر» سيكون ذيلاً على كتاب ابن بشر الذي توقف قلمه في ١٢٦٧هـ ؛ حيث سيواصل المشوار بعده من

---

(١) ابن عيسى . تاريخ بعض الحوادث ، انظر مثلاً : الصفحات ٢٨ - ٣٤ .

(٢) ابن عيسى . تاريخ بعض الحوادث ، ص ٢٧ .

عام ١٢٦٨هـ وهكذا فعل . وهذا بحد ذاته اعتراف صريح باطلاعه على كتاب ابن بشر ، وربما اعتراف ضمني باستفادته منه في ثنايا تاريخه .. وكون ابن عيسى لم يشر أو يذكر تاريخ ابن بشر ضمن ما ذكره في مقدمته من مصادر أخرى ، وهي محدودة ، لا يجعلنا نقطع بأنه تعمّد إغفاله لا سيما وقد ذكره آنفاً كما مر .

بالإضافة إلى هذا ، فكيف يلام ابن عيسى أو يتهم بأمر كهذا ، وهو صاحب التركة العلمية التي ضاع معظمها سدى ؛ فلعله في كراريسه ووريقاته التي ضاعت ذكر ابن بشر وتاريخه ذكراً أكثر صراحة مما هو متوافر ؛ حيث لا يجدر قطع الأمر في مسألة كهذه في ظل غياب الكثير من مؤلفاته وأوراقه. والشيخ حمد الجاسر نفسه رحمه الله بعد أن لام ابن عيسى لإغفاله ابن بشر قال : «وإذا أردنا أن نتلمس لمؤرخنا (ابن عيسى) - رحمه الله تعالى - فلن نجد أكثر من القول بأن النسخة التي وصلت إلينا من هذا الكتاب قد تكون هي المسودة، ولعلّ المؤلف لم يكتبها لتكون أصلاً يُعْتَمد، ولكن ليعيد النظر فيها ، بالإصلاح والإضافة ، فلم يتمكن من ذلك» [1] .

مصدر تاريخي :

أما عن الشيخ إبراهيم بن عيسى ومؤلفاته بوصفه مصدراً تاريخيّاً لمن أتى بعده من المؤرخين ، فإن الأمر قد يتطلب إلقاء نظرة سريعة على مكانته بين المؤرخين، وكيف نظر إليه في هذا الإطار .

يقول الشيخ البسام ، كما تقدم ، بأنه لا يعرف أحداً من العلماء النجديين خدم تاريخ نجد مثله ، وتعب في تدوين أخباره ، وتسجيل حوادثه ، وضبط أنسابه،

(١) ابن عيسى . تاريخ بعض الحوادث ، ص ٩ .

حتى عد بلا مراء مرجعاً فيه . ويقول أيضاً ، بأن «علماء نجد الكبار يكتبون إليه ويستفيدون منه» [١] يستفيدون منه بالأخبار والتراجم والأنساب [٢] .

إذا كان ابن عيسى قد حظي بهذه المكانة الرفيعة لدى علماء الأمس الذين كاتبوه لينهلوا من معين علمه الصافي ؛ فإن علماء اليوم ومؤرخيهم ، يكنون له الإجلال والتقدير نفسه .

فهذا الدكتور عبدالعزيز الخويطر ، وهو يعدد أعمدة أو أركان كتاب التاريخ في نجد ، يعطي ابن عيسى ، في المكانة ، المرتبة الثالثة [٣] ، بعد ابن غنام وابن بشر ، مقدماً إياه على الفاخري وابن لعبون [٤]، واللذان سبقاه من حيث الزمن.

أما الشيخ حمد الجاسر ، فيقدمه حتى على ابن غنام ، حيث يضعه ، فيما يتعلق بكتابة التاريخ ، في المنزلة الثانية بعد ابن بشر مباشرة «ويعتبر الشيخ ابن عيسى المؤرخ الثاني لنجد ، بعد ابن بشر» [٥] .

هذا بالتأكيد في حقل التاريخ فقط ، حيث يعد عثمان بن بشر ، بحق ، عمدة المؤرخين النجديين . لكن فيما يتعلق بعلم الأنساب ؛ أنساب أهل نجد بالذات فلا يظن إلا أن الشيخ ابن عيسى كان له فيه باع طويل بزّ فيه معاصريه، فقد كان بحق المؤرخ النسابة .

(١) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٣) عبد العزيز العبد الله الخويطر . عثمان بن بشر منهجه ومصادره .- الطبعة الثانية .- الرياض : مطابع اليمامة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ٩ .
(٤) حمد بن محمد بن لعبون . تاريخ حمد بن محمد بن لعبون .- الطبعة الثانية .- الطائف : مكتبة المعارف ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣ ؛ أيضاً انظر : حمد الجاسر . مؤرخو نجد من أهلها ، العرب .- الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة ، ربيع الآخر ، ١٣٩١هـ/مايو١٩٧١م ، ص ٧٩٨ - ٧٩٩ .
(٥) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٧ .

وإذا كان يحتل هذه المنزلة العلمية المتميزة والفريدة بين علماء عصره ، فلا شك أن هذا سينعكس على مدى الاعتماد عليه بأنه مصدر مهم وأساس في التاريخ والأنساب .

كان على ما ظهر، أن أول المستفيدين الناقلين عنه، هو أمين الريحاني، الذي كما هو معروف ، ألف كتاباً في تاريخ المملكة ، سماه «تاريخ نجد الحديث ..» وغطى فيه سيرة السلطان عبدالعزيز ، كما دون شيئاً من تاريخ الدولتين السعوديتين الأولى والثانية . وقد أملاه السلطان عبدالعزيز تاريخ سيرته وأحداثها ؛ لأنه كان هو المعتمد والمصدر الأول فيها [(١)] . أما الدولتان السعوديتان الأولى والثانية فاعتمد الريحاني ، بجانب مصادر أخرى على ابن غنام وابن بشر . وتبقى الحقبة من عام ١٢٦٧هـ ؛ حيث توقف ابن بشر إلى استيلاء الأمير محمد ابن عبدالله الرشيد ، التي تحرّج الملك عبدالعزيز من روايتها للريحاني لعدم تأكده منها . قال الريحاني : « .. لم يرو السلطان أخبارها لأنه لم يكن متحققاً منها كلها ، ولا أذن لأحد علماء الرياض ، للسبب نفسه ، بروايتها »[(٢)] .

السلطان عبدالعزيز رغب ، ولا شك في أن يتزوّد الريحاني من مصدر يُعْتَمَد عليه ، ومن له غير ابن عيسى الحجة في تاريخ وأنساب نجد في تلك الحقبة . واصل الريحاني قائلاً : «ولكنه ، (السلطان عبدالعزيز) عندما أزمعت الرحيل ، أعطاني كتاباً إلى أحد عماله في شقراء ، هو الشيخ عبدالرحمن

---

(١) أمين الريحاني . تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .- الطبعة الأولى للأعمال العربية الكاملة (المجموعة) .- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١ .

السبيعي ، يأمره بأن يكتب إلى الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى في أشيقر .. ليرسل إليه تاريخه الخطي ، فأطلع عليه وأنسخه ، ثم يعاد إلى صاحبه» [١] .

ولكن أنّى للريحاني أو رسله العثور عليه ، وقد كان حينذاك دؤوب التنقل بين مدينتيه اللتين أحبهما عنيزة وأشيقر . واصل الريحاني قائلاً : «جئت شقراء ، وراح نجّاب السبيعي إلى أشيقر ، فوجد بيت المؤرخ مقفلاً ، وقيل له إن الشيخ إبراهيم في عنيزة ، وكنا في طريقنا إلى عنيزة فرجونا أن نجتمع بالمؤرخ فيها ، ولكن السبيعي ، سلمه الله ، .. فأمر نجّابه بالرجوع إلى أشيقر يوم رحلنا من شقراء وقال لي : إذا ظفر بالتاريخ أرسله إليك ، حيث نكون في بريدة أو في عنيزة ، أو في الحفر . وإذا اجتمعت بصاحبه في طريقك فأمسكه يا أمين بتلابيبه» [٢] .

لم يمسك الريحاني بتلابيبه ؛ إذ لم يقدر له لقياه ، ولو قدر له ذلك لعبّ من معين تاريخ نجد ومصدره الأصيل ، ولكان حقاً قد وصل إلى محط رحالها ، ولعله ما درى أي فرصة تلك التي ضاعت عليه .. وإذا كان الريحاني لم تسعفه الفرصة في ملاقاة الكاتب ، فقد ظفر بالكتاب ، ولعلّ في هذا شيئ من العزاء له . قال بعد أن وصل عنيزة : «وصلنا إلى عنيزة فلم نجد فيها المؤرخ ، ولا جاءنا من السبيعي التاريخ . ولكن غداة دنونا من بريدة خرج النجاب يلاقينا ، وكان قد جاءها رأساً من أشيقر ، فسلم وأخرج التاريخ من جيبه قائلاً : بعد أن تنسخ حاجتك منه رده إلى السبيعي فيرده إلى صاحبه . وهكذا كان» [٣] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ١١ - ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

قصة الريحاني هذه ، مع مخطوط ابن عيسى تدل بجلاء على مدى التميز العلمي الذي كان يتمتع به هذا المؤرخ ، بأنه مصدر موثوق ؛ بل هو ركن في كتابة تاريخ نجد لا يستهان به .

وإذا كان الريحاني سنح له الكتاب دون الكاتب ، فإن مؤرخاً آخر كان أوفر منه حظاً .

عبدالله بن بسام ، مؤلف «تحفة المشتاق» واحد ممن استفادوا من الشيخ ابن عيسى ومؤلفاته هو مصدر في التاريخ واعتمدوا عليه . ابن بسام عاش في نفس حقبة حياة ابن عيسى نفسها فقد ولد في العام ١٢٧٠هـ [(١)] أو قبل ذلك بسنتين [(٢)] وتوفي بعده بسنوات قليلة لا تتجاوز الثلاث [(٣)] . وإذا أعيد إلى الأذهان مدى الصلة القوية التي كانت تربط الشيخ إبراهيم بن عيسى بمدينة عنيزة ، بلد ابن بسام ، والعلاقة الحميمة التي كانت تربطه بأسرة آل بسام بشكل خاص[(٤)] ، إذا عرف هذا ، توقع المرء بأن هناك علاقة ومعرفة قوية بين هذين الرجلين العالمين ، وبالتالي يتوقع بأن هناك تعاوناً علمياً بينهما . ونظراً للتفاوت الكبير بينهما في المعرفة والاطلاع العلمي ، والذي يقول عنه الدكتور محمد بن سعد الشويعر : «وفي هذا الموقف وما يشاكله نجعل للأقدم والأكثر اهتماماً الأولوية والريادة ، ولا شك أن فكرة التجميع تاريخياً ، والاهتمام بالأنساب كانت لدى ابن عيسى من السنوات الأولى في حياته ؛ حيث عرف

(١) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج١٠ ، ص ٨٨٨ .

(٢) البسام . علماء نجد ، ج٢ ، ص ٦١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٥ ؛ الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٨ .

(٤) المصدر الأخير ، ص ٨٨٦ .

بذلك في وقت مبكر وتواتر هذا عنه» [١] .

لعل ابن بسام ، والحالة هذه ، قد استفاد من ابن عيسى فائدتين : فائدة مصاحبة ومزاملة عالم كبير والأخذ عنه ، ثم الاطلاع على كتبه ومؤلفاته ، وحتى وريقاته ، وهو على قيد الحياة ، خصوصاً ، والاستفادة من هذا كله في مؤلفه الذي بين أيدينا «تحفة المشتاق» ولعلّه استفاد أيضاً من كتب ابن عيسى بعد وفاة الأخير . لا سيما وأن الشيخ الجاسر يقول بأنه «ليس من المستبعد بأن تكون الأصول التي رجع إليها ابن عيسى والمذكرات التي كتبها وصلت كاملة إلى الشيخ عبدالله بن بسام .. وقد سبق القول بأن ابن عيسى عاش في كنف آل بسام سنيه الأخيرة ، وبقيت كتبه في حوزة أحدهم» [٢] إلا أن ابن بسام قد أغفل ذكر ابن عيسى بأنه مصدر من مصادره . وقد نقده الشيخ حمد الجاسر نقداً قاسياً ، إلا أنها الحقيقة ، والحقيقة مرّة . الجاسر ، بعد أن عدّد المصادر التي ذكرها عبدالله بن بسام في مقدمة كتابه «تحفة المشتاق» ، قال : «والمضحك حقاً أنه ترك أهم تلك المصادر وهي ما كتبه الشيخ ابن عيسى ، وما جاء في كتابي مؤرخي مكة القطبي ودحلان ، فقد أكثر النقل من هؤلاء الثلاثة بل نقل جلّ ما في كتب الأول وأكثر ما في كتابي الأخيرين من حوادث مكة وأمرائها في العصور الأخيرة ، وأغرب من هذا أنه نقل خطبة أحد كتابي ابن عيسى .. - نقلاً حرفياً - ، خطبة لكتابه ، ومصادره هي مصادره باستثناء

(١) محمد بن سعد الشويعر . من المخطوطات التاريخية لبلادنا : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، للشيخ عبدالله بن محمد بن بسام -- الدارة ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ/ابريل ١٩٨٤م ، ص ٥٥ .

(٢) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج١٠ ، ص ٨٨٩ .

ابن يوسف ، كما قيل : (كما تدين تدان) فابن عيسى عوّل على تاريخ ابن بشر كثيراً ومع ذلك لم يذكره في مصادره »[1] .

من يطالع المقدمتين ، أو الخطبتين يتأكد له التشابه التام بينهما ، مع اختلافات طفيفة في التعبير . لكن ، والحق يقال ، فإن ابن بسام قد أضاف مصدرين ، ابن يوسف الذي أشار إليه الجاسر ، وابن بشر وهو الأهم ، والذي كما قال الجاسر نفسه ، أهمل ذكره ابن عيسى ، لكن ابن بسام ذكره ضمن مصادره في هذه الخطبة أو المقدمة ، ولعل شيخنا الجليل الجاسر لم يفطن إلى ذلك[2] . من مقارنة هاتين الخطبتين ، يتضح بجلاء لا لبس فيه أن ابن بسام قد نقل خطبة ابن عيسى . ولعل إضافته لكل من ابن يوسف وابن بشر ، كان بسبب عثوره واطلاعه على نسخة خطيّة أخرى لكتاب ابن عيسى المطبوع الذي أشار إليه الجاسر . ولعل ابن عيسى ، ذكر في مقدمتها هذين المصدرين، ونقل ابن بسام الخطبة كاملة كما هي ، حرفياً فأتت مختلفة في بعض التعابير بشكل طفيف لخطبة ابن عيسى في النسخة المطبوعة . وهذا مما يرجح الظن بأن ابن عيسى قد يكون ذكر ابن بشر كمصدر له في نسخة لم تصل إلينا .

أما قول الشيخ حمد الجاسر بأن ابن بسام قد نقل أكثر ما في كتابي القطبي ودحلان ، عن حوادث مكة وأمرائها ، فالذي يبدو والله أعلم ، أنه لم

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها ؛ والكتاب الذي قصده الجاسر هنا هو كتاب « تاريخ بعض الحوادث .... » .

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسّام . تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، الأستاذ نور الدين شريبة عندما كان أستاذاً في عنيزة ، عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، ورقة ٢ (ب) ، ٣ (أ) ؛ ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ، ص٢٦ - ٢٧ .

ينقل مباشرة من هذين الكتابين ، وإنما نقل ما نقل . عن طريق ابن عيسى أيضاً ، حيث يذكر الشيخ عبدالله البسام في مؤلفه ، «علماء نجد» ، كما مر ، أن من ضمن مؤلفات الشيخ ابن عيسى نبذة عن تاريخ مكة وحكامها ، ويرجح أنها ملخصة من تاريخ أحمد زيني دحلان .. إلخ [١] وفي الطبعة الأخيرة لكتابه يقول الشيخ البسام بأن ابن عيسى قد صرح بأنها ملخصة من كتاب دحلان «نبذة عن تاريخ أشراف مكة المكرمة» ، وقد صرح بأنها ملخصة من كتاب زيني دحلان «أمراء البلد الحرام» [٢] .

فإذا كان ابن بسام ، كما قال الجاسر قد نقل جلّ ما في كتب ابن عيسى، وهو أمر في الحقيقة ملاحظ ، فلم لا يكون قد نقل هذه النبذة مع ضمن ما نقل.

لكن كون ابن بسام استفاد من كتب وأوراق ابن عيسى ، لا ينفي اشتغاله هو بالتاريخ وتدوينه ، وأنه صاحب شخصية علمية لها ذاتها واستقلالها ، ولذا يختم الجاسر عبارته السابقة أو رأيه ، بما في هذا المعنى حيث يقول : «وهذا القول لا ينفي عناية الشيخ ابن بسام بالتاريخ ..» [٣] .

ويدعم رأي الجاسر هذا ، ما جاء على لسان الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي (Charles Doughty) الذي زار عنيزة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري في حقبة إمارة الأمير الشيخ زامل العبدالله السليم ، حيث دأب ابن بسام ، وهو يومئذ شاب صغير في العشرينات من عمره ، على استضافة هذا الرحالة

(١) البسام . علماء نجد ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٢) آل بسام . علماء نجد خلال ثمانية قرون ، (ط٢) ، ج١ ، ص ٣٢٧ .

(٣) الجاسر . مؤرخو نجد ، العرب ، ج ١٠ ، ص ٨٨٩ .

في منزله معظم الليالي ليمضي معه ومع مثقفي وعلماء عنيزة الآخرين ، وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن عائض، وقتاً ممتعاً في واحات الأدب والتاريخ والآثار . وقد وصف هذا الرحالة ابن بسام بأنه كان شاباً أديباً له عناية بالتاريخ بصفة خاصة ، وأنه كان ينكب على كتبه على ضوء المصباح [1] حتى الصباح . ولقاء داوتي بالمؤرخ ابن بسام عندما كان شاباً مفصل في بحث آخر [2] .

وإذا كان هذا البسام قد أغفل ابن عيسى وهو أهم مصادره ، فإن بساماً آخر ، استفاد على ما ظهر ، فائدة كبيرة من أوراق ومؤلفات الشيخ إبراهيم بن عيسى ، ولكنه بتواضع العلماء ، وصدق الباحثين ، وموضوعيتهم ، أعلن ذلك على رؤوس الأشهاد . قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه «علماء نجد» بعد أن بين الدور العظيم للشيخ ابن عيسى في تدوين وحفظ تاريخ وأنساب نجد ، حتى عدّ المرجع في هذا ، قال : «وإني أنا كاتب هذه الأسطر قد عوّلت عليه في كثير من أخبار وتراجم وأنساب هذا الكتاب الذي أكتبه الآن . .» [3] .

وقال في مقدمة كتابه هذا : «والفضل لله تعالى على تيسيره ثم لعمي الشيخ سليمان بن صالح البسام الذي أطلعني على مجاميع وأوراق تعب في

---

(١) Charles M. Doughty, Travels In Arabia Deserta, Vol. 11, New York : Dover Publication, Inc., 1979, pp. 385 - 386 .

(٢) محمد ثنيان الثنيان . « المؤرخ ابن بسام (١٢٧٠ - ١٣٤٦هـ) ، وهويته العلمية وجذورها الأولى في ضوء نصوص جديدة أو منسيّة» مجلة جامعة الملك عبد العزيز (الآداب والعلوم الإنسانية) المجلد الثاني ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ص ٧١ - ١٢٧ .

(٣) البسام . علماء نجد ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

جمعها وكتابتها المؤرخ الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى الذي أوقف عمره على جمع هذه الفوائد في التاريخ والأنساب .. » [١] .

وفي الطبعة الجديدة لكتابه عدّل المؤلف عبارته هذه على النحو التالي : «والفضل لله تعالى على تيسيره ، ثم لما اطلعت عليه من مجاميع وأوراق تعب.. إلخ .. »[٢] وحسناً فعل بهذا التعديل ، فأرجع الفضل إلى أهله .

لكن ، لعلّ قوله هذا ، جعل أحد العلماء ، وهو الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ، وهو بصدد تعداد «كتب تختص بتراجم الأصحاب حسب بلدانهم .. » بعد أن أورد الشيخ أبو زيد كتاب ابن عيسى ضمن هذه المؤلفات قال :

«٢ - تاريخ ابن عيسى ، الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى . ت سنة (١٣٤٣هـ).

مخطوط في مجلدين . وهو عمدة ابن بسام في كتابه : «علماء نجد» وقد أشار إلى ذلك إشارة خاطفة في مقدمته . ولو ساق تراجمه بكاملها ثم زاد مالديه - إن كان لكان أولى - ، ولو طبع تاريخ ابن عيسى لكان أتم ، ولكن لله الأمر، والإنصاف عزيز... » [٣] .

الشيخ عبدالله آل بسام نفى هذا، ودافع عن نفسه بما رآه كافياً . وفي الحقيقة فإن مكانة ابن بسام ، العلمية ، وجهوده في كتب التراجم لا ينكرها أحد . وليس مجال البحث هنا أن نلج أو نتدخل بين هذين العالمين ؛ لكن كلامهما هذا ، يصبّ في ركاب الشيخ إبراهيم بن عيسى ، وفي مدى أهميّة وقيمة مؤلفاته ، وعلو قدره ومكانته المتميزة بين العلماء والمؤرخين .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٢) آل بسام . علماء نجد خلال ثمانية قرون ، (ط٢) ، ج١ ، ص ٧٨ .
(٣) أبو زيد . المدخل المفصل ، ج١ ، ص ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

المراجع

- البسام ، عبدالله بن عبدالرحمن .
علماء نجد خلال ستة قرون ، ثلاثة أجزاء .- مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٨هـ .
- آل بسّام ، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح .
علماء نجد خلال ثمانية قرون ، الطبعة الثانية ، ستة أجزاء .- الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٩هـ .
- آل بسّام ، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز .
تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، الأستاذ نور الدين شريبة عندما كان أستاذاً في عنيزة ، عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- ابن بشر ، عثمان بن عبدالله .
عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الرابعة ، جزءان ؛ تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ .- الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ، (الجزء الأول : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، الجزء الثاني : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- الثنيان ، محمد ثنيان .
«**المؤرخ ابن بسام (١٢٧٠ - ١٣٤٦هـ) ، وهويته العلمية وجذورها الأولى في ضوء نصوص جديدة أو منسيّة**» مجلة جامعة الملك عبدالعزيز (الآداب والعلوم الإنسانية) المجلد الثاني ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

- الجاسر ، حمد .
« **مؤرخو نجد من أهلها** » ، العرب ، الجزء التاسع ، ربيع الأول / مايو ، الجزء العاشر ، ربيع الثاني / يونيو ، السنة الخامسة .- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- الخويطر ، عبدالعزيز العبدالله .
عثمان بن بشر منهجه ومصادره ، الطبعة الثانية .- الرياض : مطابع اليمامة ، ١٣٩٥هـ .
- الريحاني ، أمين .
تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، الطبعة الأولى للأعمال العربية الكاملة (المجموعة) .- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م .
- أبو زيد ، بكر بن عبدالله .
المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب ، جزءان ، الطبعة الأولى .- الرياض : دار العاصمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الشويعر ، محمد بن سعد .
من المخطوطات التاريخية لبلادنا : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، للشيخ عبدالله بن محمد بن بسّام .- الرياض : الدارة ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ / أبريل ١٩٨٤م .
- آل الشيخ ، عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله .
مشاهير علماء نجد وغيرهم ، الطبعة الأولى .- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .

- العثيمين ، عبدالله الصالح .
الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره .- الرياض: دارالعلوم، (د.ت).
- أبو عليه ، عبدالفتاح حسن .
دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر (مصادر تاريخ البلاد السعودية) .- الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح .
تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ) .- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (د . ت) .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح .
عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر ؛ تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ .- الرياض : طبع بالمطابع الوطنية الحديثة على نفقة وزارة المعارف ، (د . ت) .
- الفاخري ، محمد بن عمر .
الأخبار النجدية ؛ تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر» (د . ت) .
- القاضي ، محمد بن عثمان .
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، جزءان ، الطبعة الثانية .- القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- ابن لعبون ، حمد بن محمد .

تاريخ حمد بن محمد بن لعبون ، الطبعة الثانية .- الطائف : مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ .

- Ibn Bishr, Uthman Ibn Abdullah .

Kitab Unwan al-Majd Fi Tarikh Najd, The Britich Museum MS. is Or. 7718 .

- Doughty, Charles M.

Travels In Arabia Deserta, Vol. 11, New York : Dover Publication, Inc., 1979 .